العوامل المؤثرة في العمارة في الحضارة المصرية القديمة

أ.بوبكر مريقي، جامعة عمار ثليجي الأغواط، الجزائر

ملخص:

تناولت الدراسة موضوعا هاما جدا يتعلق بجانب تقني و فني مهم في جميع الحضارات ألا و هي العمارة. ولأغراض الحضارة و النهوض بالمجتمع فإنه من الضروري الاهتمام ببناء فكر معماري يترجم متطلبات العصر. و قد هدفت هذه الدراسة إلى توضيح أثر العوامل المختلفة على تطور العمارة في مصر القديمة، و إظهار طرق تطور الفكر المعماري سواء كان ذلك بتدخل الفكر البشري أو نتيجة تأثير العوامل الطبيعية المتعددة، و هذا من أجل تحقيق النجاح الفني المعماري حيث يكون عمل الهندسة المعمارية نتاج عملية إبداعية متكاملة تتحقق من خلال الإبداع الفكري المتأثر بمجددات العصر فيه، خصوصا إذا علمنا أن مصر القديمة كانت سباقة في إظهار الفن المعماري كواحد من أشكال الحضارة و كان لذلك تأثير عالمي استفادت منه حضارات عدة.

الكلمات المفتاحية: العمارة – الحضارة المصرية – العمارة المصرية

***Abstract* :**

The aim of this study is clarifying at a very important topic related to technical and architectural aspects in all civilizations, namely architecture. For the purposes of civilization and advancement of society, it is necessary to pay

attention to building architectural thought that translates the requirements of the times. This study aimed at clarifying the impact of various factors on the development of architecture in ancient Egypt and showing the different ways of development of architectural thought whether it is the intervention of human thought or the result of the influence of multiple natural factors .The purpose is to achieve success architecture where the work of architecture is the result of creative process Integrated through intellectual creativity and influenced by the determinants of the age, especially knowing that ancient Egypt was a pioneer in the presentation of architectural art as one of the forms of civilization and has had a global impact that has benefited from several civilizations

Keywords* : *Architecture* ; *egyptian Civilization* ; *Egyptian Architecture

مقدمة :

منذ 5000 سنة ق.م قامت الحضارة المصرية على ضفتي وادي النيل[1]، وقد شهدت البلاد تطور الفن المعماري الذي جاء ملائما لجميع الاحتياجات و الرغبات التي أحبها المصريون في جميع نواحي الحياة الدينية السياسية و المدنية فأقيمت المعابد للآلهة و المساكن للبشر و أنواع مختلفة من المقابر، و بذلك كانت العمارة في كل الأزمنة تعبر عن الخلفية الحضارية للفنون بجميع أنواعها[2].

و العمارة كغيرها من الفنون تتأثر بما يحيط بها من عوامل طبيعية و جغرافية أو جيولوجية أو مناخية أو تاريخية و سياسية، و ما إلى ذلك من مؤثرات ثانوية، فلا توجد بلدان لها نفس الطرز المعمارية، كما أنه لا تُعزى الاختلافات كثيرا إلى الشعب الذي ابتكر تلك المباني بقدر ما تُعزى إلى العوامل التي أثرت مظاهرها البدائية و ترجمت هذا التطور إلى طرز معمارية[3].

01 – العوامل الجغرافية :

لقد عرفت مصر بموقع جغرافي مميز له أهمية كبيرة، فهي تقع على الركن الشمالي الشرقي من القارة الإفريقية عند نقطة الالتقاء مع القارة الآسيوية، وتعتبر مفرق البحرين الداخليين، الأول و هو البحر الأحمر الذي يمتد إلى المحيط الهندي و مناطقه حارة، و الثاني و هو البحر الأبيض المتوسط و الذي يمتد إلى المحيط الأطلسي و مناطقه باردة(4)، و يتكون الإقليم المصري من أربع وحدات جغرافية تختلف كل واحدة منها عن الأخرى بظواهرها الطبيعية و تتمثل فيما يلي :

أ - وادي النيل و الدلتا:

تحيط مصر بواديها الطويل الضيق الذي يجري فيه نهر النيل هضبتان رمليتان و يتسع الجزء الشمالي من وادي النيل إلى مثلث ممتد من الأرض المنبسطة أطلق عليه الإغريق اسم الدلتا(5)،و يسمى كذلك أرض الشمال أو الوجه البحري الذي يمتد بطول180 كلم و عرض يصل إلى 280 كلم من منف(6)إلى غاية البحر الأبيض المتوسط و هو الإقليم الخصب المعروف بسعة أراضيه الزراعية بدرجة كبيرة و تكثر فيه المستنقعات المائية كما تتخلله البحيرات و القنوات(7)، و يرجع ذلك إلى بقايا البحر الذي غمره في العصر الجيولوجي الثالث، و يتشعب النيل نفسه إلى فرعين رئيسيين و عدد من الفروع الجانبية، و هو يصب في البحر الأبيض المتوسط من خلال سبع مصبات(8).جاء ذكرها في كتابات المؤرخين القدامى على النحو التالي :

الفرع البوبسطي: (نسبة إلى بوبسطة) ويعرف الآن بترعة "أبى النجا"(9).

الفرع المنديسي: (نسبة إلى منديس)ويعرف الآن باسم بحر أشمون الرمان ويصب في بحيرة المنزلة(10).

الفرع التانيتي: ويعرف الآن باسم بحر مويس(11).

الفرع الفاطميتي: ويعرف الآن باسم فرع دمياط.

الفرع السبنتيتي: (نسبة إلى سمنود) ويعرف الآن باسم ترعة مليج .

الفرع البلبتيني: وكان جزءا من الكانوبي يخرج منه عند الرحمانية .

الفرع الكانوبي : وهو المعروف الآن بفرع رشيد مطلعه عند رأس الدلتا ومجراه إلى الشمال[12].

أما عن القسم الثاني منه فيسمى مصر العليا أو الوجه القبلي، و يقصد به أرض الجنوب (بلاد الصعيد حاليا) فهو عبارة عن واد طويل ضيق، يتراوح عرضه ما بين 06 و 30 كلم و ينحصر بين صحراوين و جميع بلدانه لا تبعد عن النيل[13]، و يبلغ طوله 900 كلم، و أدى تقسيم الوادي لإقليمين إلى تحديد ملامح مختلفة للملكية المصرية و الحياة الرسمية بازدواجية متميزة، حيث تحتفظ لنا الوثائق بصورة الحروب التي نشبت بين الشعبين في محاولات عديدة لتوحيدهما في فجر التاريخ[14].

أما عن اسم نهر النيل لدى قدماء المصريين و الإله الخاص به فكان يعرف باسم (حعف أو حعفي) ثم صار يلفظ في العصور المتأخرة بلفظة (هوفي أو حوفي) و لا يعرف معنى هذا الاسم المصري القديم لحد الآن، لكن المهم أنه كان له الأثر الكبير لكل ما يمت لحضارة مصر القديمة بصلة كبيرة جدا، إذ أن فيضان النهر السنوي كان سببا في تعلم المصريين القدماء الإحصاء و الهندسة و الحساب، و كذا التقويم حيث بدأوا بمراقبة فيضان النهر و حاولوا جاهدين إيجاد فكرة للتحكم بمياهه و استغلالها[15]، فقد توصلوا إلى أن مدة فيضان النهر ما بين 90 إلى 100 يوم في السنة حيث يكون النهر في شهر أيار (ماي) في أدنى مستوى له ثم يبدأ في الارتفاع شيئا فشيئا في المنطقة مابين أسوان و القاهرة، و في شهر حزيران (جوان) يزداد ارتفاعا و يكون لون الماء أخضر بسبب الحشائش التي يجلبها معه، و يصبح سريع التدفق بحلول شهر آب (أوت) و يكون لون الماء أحمرا بسبب الطمي و الغرين الذي يحمله معه، ليعود إلى الاستقرار شهر أيلول (سبتمبر)،و يكون آخر ارتفاع لمستوى النهر في شهر تشرين الأول (أكتوبر) ليبدأ في الانخفاض تدريجيا إلى غاية شهر أيار (ماي) المقبل ثم يعاود دورته السنوية هكذا[16].

وتدل الدلائل على أن فيضان النيل في عهد الأسرات كان غير مستقر كما أصبح عليه الحال في العصر الحديث قبل بناء العديد من مشاريع التحكم في النهر، و قد أثبتت دراسات عدة أن مستويات الفيضان كانت تتجه للهبوط، الذي كان أكثر سرعة خلال أواخر الأسرة الأولى

وبداية الأسرة الثانية، و هو ما أدى إلى الهبوط عمرانيا و ما صحب ذلك من كوارث ومجاعات(17).

و في الدولة الوسطى فإن تحليل سجلات 28 فيضانا يوضح أن الفيضانات كانت عالية في النوبة ما بين 1840 و 1770 ق.م، أما تسجيلات الدولة الحديثة فيعتريها النقص و إن كانت الإشارات تؤكد أن الفيضانات كانت غير مواتية بصورة طبيعية في القرن 05 ق.م كما أصبح عليه الأمر فيما بعد في القرن 01 ق.م(18)، وكذلك الشأن بالنسبة للدلتا أيضا ففي بعض الحالات أدى نقص التصرف المائي للفرع البللوزي إلى ترك المقر الملكي في مدينة بي رمسيس و الانتقال إلى مدينة تانيس على الفرع التانيتي بعد سنة 1200 ق.م(19).

لقد كان لاضطراب نهر النيل الدافع القوي لتعاون الناس في إقامة محيطهم العمراني فوق مستوى النهر فعملوا على استحداث كومة عالية من تراب الأرض تكون من الضخامة بمكان لا يجرفها التيار و لا يتخللها الماء، و قد ترتب على ذلك تركيز القرى في وحدات كبيرة تكون في مأمن من الفيضان(20).

يرى لويس ممفورد(Lewis Mumford) أنه رغم هذا التعاون بين السكان في إقامة المحلات و إبعاد الخطر عنها، فإن المحلة الريفية بالمقارنة بالمركز الحضري فيما بعد كانت تحت رحمة الطبيعة، بينما كانت المدينة بمؤسساتها و تخصصاتها و سكانها أكثر مقاومة و صلابة أمام تلك العوامل، و يرى كذلك أن المحلات كانت تقام في المناطق النائية و الجافة، كما أن الزراعة كانت في بعض المناطق لا تصلها المستنقعات، و أن ذلك كان يتم بصورة تدريجية(21).

وقد ارتبط اتساع السهل الفيضي لواد النيل بحركات متغيرو لمجراه، إذ أثبتت الدراسات أن النيل كان يجنح في اتجاه الشرق، على طول الألفي سنة السابقة لعهد الأسرات، و قد أثر ذلك على العمران كثيرا، في حين أن مجراه في عهد الأسرات كان مختلفا عما هو عليه الآن حيث كان يجنح في اتجاه الغرب، و نتج عن ذلك وقوع محلات عمران على النيل مباشرةفي ذلك الوقت، ولكنها ليست كذلك اليوم، فمدينة ممفيس مثلا كانت على النهر زمن البطالمة حين كان محور النيل غرب المجرى الحالي، وهي ليست كذلك اليوم(22).أما في المواضع التي تتعرض لذبذبات فقد كانت ثابتة ولم تتغير كثيرا حتى الآن في معظمها، و استفادت من ارتفاع الموضع

الخاص بالمحلة و تراكم حطام المباني من السنين الماضية، مما يجعلها مفضلة من السكان لبعدها عن الغمر و الفيضان(23).

وقد ساعدت خصوبة التربة في مصر القديمة منذ العصور القديمة في التأثير على تقدم المدينة و السبب في ذلك كله يرجع إلى كمية الطمي الكبيرة التي كان يحملها نهر النيل سنويا و يقذف بها على جانبيه، و ذلك ما ساهم في نمو عديد المحاصيل الزراعية، و التي كانت سببا رئيسيا في استقرار السكان(24)، أما في الدلتا فكانت الفروع العديدة عرضة للتغير و التحول من سنة لأخرى، مما أثر أيضا على مواضع المحلات و أدى ذلك إلى تغير الحدود باستمرار بين الأقاليم و المقاطعات المتجاورة و هو ما كان يحدث بصورة أقل في الوادي، بل إنه في بعض الأحيان كان سببا في تدمير العديد من مواضع العمران و لم ينج من ذلك سوى بعض المواضع مثل المقابر و الجبانات التي أقيمت على حافة الصحراء الشرقية(25).

ولعله من الجدير بالذكر أن نشير إلى أن الفيضان قد لعب دورا ايجابيا تمثل في حماية العمران المصري أحيانا من الغزاة، ففي عهد الأسرة الثلاثين حين حشد الفرس حوالي 250 ألف جندي لغزو مصر، كان أحد عوامل الحماية الكبرى هو فيضان نهر النيل حيث اضطر الفرس للتقهقر و الرجوع إلى آسيا مرة أخرى(26).

وفي الوقت الذي جفت في البلاد تماما، استقر السكان بطول شواطئ النهر على التلال الطبيعية الأعلى من مياه الفيضان، و تحولوا من مظهر الترحال للحياة إلى الحالة المستقرة للمزارعين، و نظرا لكون الماء لم يكن متاحا إلا من النهرفإن أماكن الاستقرار كان لا بد أن تكون قريبة منه أو من إحدى فروعه و قنواته، و قد اجتهد السكان في تطوير مشروعات الري التي امتدت على طول النهر، و أضيفت مناطق جديدة في الشمال ربما بسبب ريح الشمال السائدة و هو ما ذكرته النصوص المصرية باسم :النسيم البارد القادم من الشمال(27).

وقد كان النيل هو الوسيلة السهلة و الأسرع للمواصلات، حيث تظهر أقدم التسجيلات المكتوبة استخدام قوارب ذات مجاديف عديدة و قمرات ربما استعملها إنسان ما قبل الأسرات للإقامة، و كان من الممكن أن تنقل البضائع خاصة مواد البناء بالإضافة إلى منتجات الحضارة من أعالي الوادي لأسفله أو العكس في وقت قصير(28).

ب- الصحراء الغربية:

ما زالت الصحاري إلى يومنا هذا تشكل الأكثرية الساحقة من أرض مصر، ففي الغرب تغطي الصحراء الغربية مساحة 681000 كيلومتر مربع، و هذه الأصقاع المعادية لا يحد من وحشتها سوى بعض الواحات المأهولة تبعد جميعها بمسافات متقاربة من وادي النيل[29] وتمتد صحراء مصر الغربية من وادي النيل شرقا إلى الحدود المصرية الليبية غربا، ومن ساحل البحر الأبيض المتوسط شمالا إلى الحدود المصرية السودانية جنوبا، و تزيد مساحتها عن ثلثي إجمالي مساحة مصر، و نجدها تتسع في الجنوب حيث يبعد عنها النيل شرقا و تضيق نوعا ما في الشمال[30]، و تتكون الصحراء الغربية من هضاب صخرية متوسطة الارتفاع، إذ يبلغ ارتفاعها عموما نحو 500 متر، و تنحصر بينها أحواض رملية منخفضة أبرزها الواحات البحرية و الفرافرة و منخفض الفيوم و القطارة و واحة سيوه و وادي النطرون، و التي يصل عمق بعضها أحيانا إلى ما دون مستوى سطح البحر، باستثناء تلك الجبال التي تتألف منها منطقة العوينات في أقصى الجنوب الغربي، و التي تتكون من الصخور البلورية التي ظهرت نتيجة عوامل التعرية التي أزالت تكوينات الحجر الرملي الذي كان يعلوها فظهرت على هيئة جبال قبابية مرتفعة[31].

جـ - الصحراء الشرقية:

تقع بين الوادي و الدلتا إلى الغرب و البحر الأحمر و خليج و قناة السويس إلى الشرق بين الحدود المصرية مع السودان جنوبا حتى نهاية بحيرة المنزلة على البحر الأبيض المتوسط شمالا، و يتفاوت عرضها من مكان لآخر، فهي ممتدة على هيئة شريط يبلغ أقصى اتساعه في الجنوب و يضيق في الوسط ثم يعود إلى الاتساع لينتهي في الشمال بالضيق مجددا[32] و أهم ظواهرها الطبيعية سلسلة جبال الكرى، و التي يصل بعض قممها إلى ما يزيد عن 1000 م، تتخلل هذه السلسلة هضاب في الشمال أهمها جبال الجلاله القبلية و البحرية وجبال عتاقة و الهضبة التي تنتهي إلى أطراف وادي النيل في جبل المقطم و تصل جنوبا إلى قنا بالإضافة إلى هضبة أخرى أقل ارتفاعا فيما بين جبال البحر الأحمر و وادي النيل، و على مقربة من الشاطئ جزر عديدة تحيط بها و بالشاطئ أرصفة من الشعاب المرجانية[33]، و على العموم فالمشاهد الطبيعية في هذا الجزء من الصحراء أقل رتابة، و بغض النظر عن المرتفعات الجبلية نلاحظ وجود شبكة من الأودية و هي وديان جفت لا تتدفق فيها المياه إلا في القليل النادر كما أن

الجانب الشرقي من الهضبة ينحدر انحدارا شديدا في اتجاه أخدود الانخساف المشكل من البحر الأحمر[34].

د - شبه جزيرة سيناء:

تقع في شمال شرق مصر و هي عبارة عن هضبة مثلثة الشكل رأسها في الجنوب و قاعدته في الشمال يحدها شرقا خليج العقبة و غربا خليج السويس و قناة السويس، و تطل على البحر الأبيض المتوسط من الشمال، تشكل مساحتها حوالي 06 بالمائة من جملة مساحة مصر[35]، ثلثها الجنوبي عبارة عن شبكة من الجبال الشامخة يبلغ ارتفاع بعض قممها حتى 2600 متر، و تزيد هذه الجبال الكبرى و تتناقص ارتفاعا إلى الشمال حتى سفح هضبة التيه، و تنتهي جنوبا بجرف عظيم ترتفع قمته بأكثر من 1000 متر، و ينحدر تدريجيا نحو شاطئ البحر الأبيض المتوسط بين حيفا و بور فؤاد، و في الجزء الشمالي من هذه الهضبة و على مسافة 50 كلم من الشاطئ تنتصب جبال يتراوح ارتفاعها بين 500 و 1000 متر و تحد الهضبةمن الجانبين الشرقي و الغربي جروف وعرة الانحدار[36].

02 – العوامل الجيولوجية:

لقد هيأت الطبيعة في مصر مواقع صالحة للسكن، نتجت عن ظروف جيولوجية سابقة فقد أوجدت الأمطار الغزيرة التي سقطت على جبال البحر الأحمر في الهضبة الشرقية مجاري على الجانب الغربي من الجبل لتسيل المياه نحو نهر النيل في الحقبة الجيولوجية الأولى للنيل في الفترة المعروفة باسم (pre-nil)، حاملة معها كميات كبيرة من الرمال و الحصى و التي شكلت بدورها دلتاوات واسعة متفرقة لعبت دورا هاما في استيطان الإنسان بداخلها حتى عصر بداية الأسرات، و من أمثلة هذه الأودية وادي قنا و الأسيوطي و طرفة و سنور و التيه و طره ودجلة[37]، و في الفترة ما بين 35 ألف إلى 12 ألف ق.م، و التي عاصرت الفترة الثقافية للعصر الحجري القديم الأعلى حلت على مصر فترة جفاف أعادت توزيع السكان على الأرض، حيث لم يكن ممكنا البقاء مدة طويلة بعيدا عن مصدر المياه، الأمر الذي أتاح الفرصة لرصد أقدم مواقع سكنها الإنسان و التي راعى فيها أن يكون بجوار مصدر للمياه[38] و يذهب اسكندر بدوي إلى القول بأنه في فترة العصر الحجري الحديث الممطر الذي أعقب فترة العصر الحجري

القديم الجاف، كانت الهضاب المحيطة بالوادي مغطاة بالخضرة و أن الغابات كانت أكثر شيوعا من أيامنا هذه حيث نمت نباتات البوص و البردي بوفرة على طول المجاري المائية و في مستنقعات الدلتا(39).

و في الوقت الذي كانت تتكون فيه المدرجات النهرية، كان النيل يلقي بكميات هائلة من الحصى و الرمال المشكلة أصلا من فتات صخور الهضبة الحبشية، و انتشرت هذه الرواسب أمام مصباته على هيئة دلتا أخذت تنمو و تتسع من الجنوب إلى الشمال و من الوسط إلى الشرق أو الغرب(40)، و رغم تجانس كميات الطمي هذه بشكل عام فإن هناك فروقا محلية كثيرة نتجت عن التباين في توزيع المواد العالقة بمياه النيل أثناء فترة فيضانه، فقد كان الرمل الخشن يترسب حول مجرى النيل و فروعه و قنواته، بينما تحمل المياه المواد الناعمة فينشرها على الحقول، لذلك يظهر هذا التباين جليا فيما بين الوادي و الدلتا(41).

و على العموم فإن الإقليم المصري يمتاز بكثرة ما به من أنواع الصخور حيث جمع ما بين الصخور النارية و الرسوبية و المتحولة التي تشكلت خلال التحولات الجيولوجية الأربع المتعاقبة، وعليه فإن كل إقليم من أقاليم مصر جاء طابعه المعماري وفقا لما توفر به من مصادر و موارد طبيعية، و لعل المناطق التي وجد بها حجر الجرانيت شهدت عمائرها مقاومة حسنة لتحملها قسوة العوامل المناخية التي عرفته مصر عبر العصور(42).

و منذ وقت مبكر جدا، اكتسب مصريو العصور القديمة معرفة دقيقة بهذه المناطق و التي كانت تشكل مخزونا للمواد الأولية المطلوبة لأكبر مشاريع النظام الملكي، سواء كانت أحجار بناء لازمة للمشاريع المهيبة أو أحجار كريمة تلبية للبلاط الملكي، و من أجل هذه الغاية توصل المختصون من الجيولوجيين إلى تحديد المناطق التي احتوت مثل هذه المواد الأولية و إلى طرق استغلالها(43).و لعل أكثر الصخور التي توفرت بالبلاد و استخدمت في البناء كان أهمها ما يلي :

- **الجـــرانيت:** جمع بين ألوان عدة (الأسود،الأحمر،الأشهب) كان يستجلب من محاجر السودان.
- **الـــبازلت:** وجد بصورة خاصة في الصحراء، و بكثرة في منطقة أبي زعبل.
- **الديوريت:** وجد بمحاجر أسوان و كذا بالصحراء الشرقية.

- **الرخام:** وجد بواد سنور قرب بني سويف.
- **الصخور الجيرية و طباشير الدولوميت:** اختلفت ألوانها فضمت (الأسود، الأصفر، الأزرق) وقد وجدت في سلسلة الهضاب على طول وادي النيل.
- **الحجر الجيري النوميليتي:** وجد في سفح هضبة الأهرام و جبل المقطم و في الهضبة الممتدة على جانبي النيل قرب مدينة قنا.
- **الجبــس:** وجد في سلاسل جبال خليج السويس و البحر الأحمر و في شاطئ سيناء الغربي قرب القصير[44].

و إذا ما حاولنا تتبع المواد الأساسية المستخدمة كوحدة بناء في تاريخ العمارة المصرية أمكننا أن نسردها في العناصر التالية:

أ - الحجر:

لما كانت الفنون الكبرى و خاصة العمارة تتأثر بما وجد في باطن الأرض من ثروات طبيعية فقد وجد المصريون في الصحاري كثيرا من المواد التي يستخدمونها في البناء فتوفرت الأحجار في الهضاب المصرية وفرة عظيمة و تعددت أنواعها و تنوعت صلابتها و اختلفت أشكالها و أحجامها و ألوانها[45]، كما سبقت الإشارة إليه من قبل.

كان العلم بخواص الأحجار قد تقدم تقدما عظيما، و أمكن حصر الصفات المطلوبة في كل نوعية من أحجار البناء بما يتناسب مع استخداماته، فبناء جسم الهرم مثلا يتطلب نوعية متخصصة من الحجر الجيري و لكنه يتطلب أحجاما معينة، و الأحجار الجيرية اللازمة لتكسية الحوائط الخارجية لا بد أن تتوفر فيها صفات خاصة من مقاومة عوامل التعرية، و صفات خاصة من الناحية الجمالية[46].

كان الحجر الجيري وحدة البناء الرئيسية في الدولة القديمة و هو من الأحجار الرخوة و قد استخدم نوع منه امتاز بصلابته و دقة حبيباته في كساء الأحجار التي بنيت بها الأهرامات والمصاطب الكبيرة و يبدوا أن أكبر مسافة يمكن تسقيفها بالحجر الجيري كانت لا تتعدى 03 أمتار و لذلك كانت القاعات في الدولة القديمة ضيقة في حين أنه استخدم في تسقيف بعض

المعابد و المقابر باستخدام الأعتاب و الأعمدة و الأساطين، و قد ظل الحجر الجيري يستخدم في بناء المعابد حتى أواسط الأسرة الثامنة عشر(47).

كما استعمل الحجر الجيري ذو النوعية الرديئة على نطاق واسع منذ الأسرة الثامنة عشر، في حين استخدمت الصخور البركانية في التبطين و التكسية، و في العناصر المعمارية كالأعتاب والمداخل و الأعمدة و الأساطين، بينما شاع استخدام الكوارتزيت في الأسرتين الثانية عشر والثامنة عشر(48).بالإضافة إلى حجر الألبسترا الذي استخدم في أغراض التكسية للجدران الداخلية لإعطائها صبغة جمالية، و استخدم الجرانيت لبناء بعض أجزاء الأهرامات و المعابد لما عرف عنه من قدرة فائقة على تحمل الضغط، و عرف أيضا استخدام البازلت لرصف الممرات بين المساكن و المعابد لصلابته، و كان فن التحجير تحت الأرض قد أرسيت قواعده و ما زلنا نستخدم بعض طرق هذا النوع من التحجير لحد الآن(49).

وكان الملاط في المباني الجيرية من الجبس، و لا يعرف أن المصريين استخدموا الجير كملاط قبل العهد اليوناني، و ذلك رغم وفرة الحجر الجيري في مصر أكثر من الجبس و لعل ذلك راجع إلى قلة الوقود في مصر إذ أن الحجر الجيري يحتاج إلى كمية كبيرة من الوقود لحرقه أكثر مما يحتاجه حرق الجبس و يبدوا أن ملاط الجبس كان يستخدم في علاج العيوب وتسوية السطوح و ملء الفجوات الدقيقة و توزيع ثقل الأحجار الكبيرة لتجنيبها التشققات كما كان الغرض من استخدامه سهولة تحريك الأحجار و وضعها في مكان البناء بدقة(50).

لقد كان لهذه الثروة الضخمة من الأحجار المتنوعة المستخدمة في تشييد المنشآت المعمارية دافع للاهتمام بالمحاجر التي كانت تجلب منها الحجارة و تطلب ذلك تنظيم بعثات تعمل على استغلالها، فقد عثر على تجمع من الأكواخ الصخرية في جبل الأعصر التي تغطي حوالي 120 كلم^2 غرب بحيرة ناصر حاليا، حيث عرفت المنطقة عددا من المحاجر المستقلة من بداية عهد الأسرات و حتى نهاية الدولة الوسطى، كما عثر على عدد من المآوى الصخرية التي ترجع إلى عصر الدولة القديمة في الشمال الغربي من مدينة فراس بالقرب من الفيوم، حيث توجد محاجر البازلت التي استخدمت أحجارها في بناء معظم معابد الدولة القديمة(51).

لقد وجد المصريون في أحجار الصحراء ما يتفق مع أهدافهم واعتقاداتهم بالخلود فكان الملوك يوفدون البعثات إلى أسوان و أماكن من الصحراء الشرقية لجلب الأحجار المختلفة اللازمة في بناء الأهرامات و المعابد و الأبواب الوهمية و المسلات و التوابيت و التماثيل و غيرها مما يكفل لمنشآتهم البقاء آلاف السنين و ذلك ما ميز حقا العمارة المصرية عن غيرها من عمائر البلاد الأخرى من أنها موطن البناء بالحجارة(52).

ب- الخشب:

لم تصلح الأشجار التي تنمو في مصر لإنتاج أخشاب البناء، و قطع السنط و الجميز والنخيل في الأسقف كعوارض و شدّادات عمودية، و منذ العصور القديمة كان على المصريين أن يستوردوا أخشاب الصنوبر و الأرز من لبنان، و تفسر قلة الأخشاب المستعملة في البناء فقر العمارة في العناصر الخشبية(53)،و على الرغم من ذلك فقد وجد نبات البردي و البوص والسمار و فروع الشجر التي تنبت على ضفاف النيل مكانا لها في بدايات العمارة بمصر القديمة كونها مواد سهلة الاستخدام، فأقام منها المصريون أكواخهم البدائية بما كان يوائم حاجاتهم، حيث تميزت هذه المساكن بقلة مساحتها و استدارة مخططها و تقوس أعلى مداخلها و انحدار سقفها بما يمكن أن يعد أصلا للسقوف الحدباء و الأقبية و القباب في ذلك الزمن البعيد(54).

جـ - الطمي:

بدأ نهر النيل في الزمن الجيولوجي الرابع يترك بقايا تشكل حتى أيامنا هذه طبقات من الطمي، و هو مادة دقيقة متقاربة الحبيبات تتحول بعد جفافها إلى كتلة صلبة داكنة اللون وعندما تدك تصبح الأرض كتلة واحدة جامدة، و من خلال النصوص الأثرية و البقايا المعمارية أمكننا التعرف على أن البنائين المصريين قد استخدموا الطمي كمادة حشو للجدران المصنوعة من الأغصان و الحصير ليمنع بذلك دخول الريح و المطر(55).

د - الطوب:

يعتبر قالب الطوب أول وحدة بناء و ابتكاري حضاري في فن البناء ترجع إلى آلاف السنين فقد جلب النيل إلى مصر على مر التاريخ طبقة سميكة من الطمي صنع منها المصريون منذ

أواخر ما قبل الأسرات اللبن و ذلك بخلطه برمل أو تبن أو مادة أخرى، ليقوى تماسكه و حتى لا يتقلص أو يتشقق أو يفسد شكله عندما يجف، وكان يعجن بالماء حتى يصير لزجا ومن ثم كانت تملأ به قوالب صغيرة مستطيلة الشكل تترك في الشمس حتى تجف[56]،و بدأت مباني عصر ما قبل الأسرات في استخدام الطوب، و نظرا لرخص هذه المادة فقد استعملت على نطاق واسع في المباني المدنية و العسكرية و الجنائزية و الدينية، كما أنه تم خلطه مع الجبس لاستخدامه في تكسية الحجارة أو لصقلها، و بالنسبة للمباني الحجرية فإن النتيجة المباشرة لاستعمال الطوب فيها كان ابتكار البناء بالطوب بالمداميك المائلة في الجدران الضخمة حتى تمنع انزلاقها أو تشققها[57].

كانت أبعاد قالب الطوب في مصر القديمة (28*14*8 سم)، و قد اختلفت مقاساته من عصر لآخر، و يمكن لعلماء الآثار تحديد تاريخ العصر الذي أقيم فيه البناء تبعا لمقاسات الطوب التي كانت شائعة في ذلك العصر، كما ابتكر المصريون ختم قوالب الطوب باسم المصنع أو المنطقة التي صنع بها[58].

03 – **العوامل المناخية**:

يعد المناخ من أهم العوامل الطبيعية المؤثرة في الإنسان و بيئته، و ذلك من خلال تأثير عناصره التي يختلف تأثيرها في الإنسان تبعا للموقع الجغرافي، و لذا كان للمناخ الطبيعي أثره على العمارة التقليدية التي كانت تستخدم المواد الطبيعية المناسبة للبيئة و التي عرفها الإنسان و تمرس في استخدامها و تفهم خصائصها الإنشائية و الحرارية و متطلبات الصيانة و المحافظة عليها[59].

و يبدو أن المناخ في مصر كان مشابها لمثيله في العصور الحديثة، و ربما كانت سمته الأساسية الشمس المشرقة التي تمنح الدفء و الضوء طول العام، و تحقق ثلاثة محاصيل سنويا فقد عظم المصريون الشمس لدرجة كبيرة حتى أنهم قدسوها كأحد آلهتهم الرئيسية رع الذي حكم أواخر الأسرة الرابعة عشر فما بعد[60]، هذا و تميز مصر بمناخ حار جاف في فصل الصيف و جو بارد نسبيا في الشتاء مقارنة بالصيف، ومناخ مصر يحوي فصلان فقط هما فصل الصيف الحار فيما بين شهري أيار (ماي) و تشرين الأول (أكتوبر) حيث تصل درجة الحرارة إلى 37.5 درجة مئوية، و فصل الشتاء البارد ما بين شهري تشرين الثاني (نوفمبر) و نيسان (أبريل)

حيث تقل درجة الحرارة لتصل إلى 12.5 درجة مئوية، و تزداد درجات الحرارة كلما اتجهنا إلى الجنوب أو إلى الصحاري البعيدة عن وادي النيل[61].

لذا كان للحالة المناخية في مصر تأثير كبير على فن العمارة المصرية، فشمسها و نيلها و نباتها أوحى إلى المصري أشكال العمائر التي أبدعها، حيث يلاحظ أن معابدها و مقابرها كانت ذات جدران شبه مصمتة لا تتخللها إلا فتحات ضيقة تعلوا فيها الصروح قوية شاهقة و تتعاقب فيها الأفنية و الأبهاء على محور مستقيم واضحة بسيطة لا تعقيد فيها و لا التواء و تمتد في جانبي هذا المحور أروقة تعتمد أسقفها على أعمدة ذات تيجان نباتية، فكان هذا الفن المستقيم يحاكي امتداد النيل كمحور بطول الوادي كله، كما أن الأعمدة ذات التيجان النباتية الشكل التي ترفع السقوف إنما تحاكي الأشجار التي احتواها النيل بضفتيه، و هكذا يبدوا المكان و كأنه جزء من طبيعة الوادي الخصيب[62].

و يذهب بعض المؤرخين إلى القول بأنه لولا المناخ الحار الجاف الذي تمتعت به أرض مصر لضاعت معالم أثارها و حضارتها القديمة، فقد ساعد مناخها سكانها على الإبداع و الرقي بالفن، حيث لا تهطل الأمطار فيه بشكل كبير بالإضافة إلى قلة عوامل التعرية، كل ذلك ساعد على البناء و التقدم الحضاري[63]،و لمعرفة تأثير كل عامل من العوامل المناخية على حدا أمكننا أن نسردها فيما يلي :

أ- الضوء:

كان الضوء عاملا مهما أدى إلى استعمال فتحات قليلة فلم تكن للمعابد نوافذ جانبية، بل كانت تضاء من المداخل و مساقط الضوء و عبر الفتحات الضيقة الموجودة في السقف، و أدى مثل تلك الكتل المعمارية الضخمة إلى البساطة في التصميم و غطيت بالزخارف عن طريق النحت أو التلوين، فتأثر النحت المعماري في تلك المباني الفخمة هو الآخر مثل المعابد والقصور مباشرة بكمية الضوء الهائلة التي يستقبلها[64]، في حين كانت مداخل و أبواب المعابد والمقابر واسعة يدخل منها ضوء كاف يضيء مساحات كبيرة، لكنه لا يلبث أن يقل شيئا فشيئا، فيزيد في روعة المكان، و قد كانت زخرفة الجدران الداخلية دقيقة بارزة ما يكفل لها الوضوح في الضوء الخافت و يكون لها الأثر الجميل في النفس[65].

بـ - المطر:

واكب هطول الأمطار على مصر في فصل الشتاء بصفة تكاد تكون منتظمة على المناطق الداخلية و شمال البلاد ـ فضلا عن السيول التي تأتي بغتة في بعض المواسم فتهلك الحرث والنسل ـ اهتمام المصريين القدماء بتأمين كافة مبانيهم كالأكواخ و المساكن و المعابد والمقابر، باتخاذ كافة الاحتياطات اللازمة لحماية سطوحها و جدرانها من آثار الأمطار السلبية(66)،و قد تطورت تقنيات حماية المباني من الأمطار و السيول منذ قيام الدولة القديمة بشكل كبير جدا، ما بين قنوات و مجار و أحواض حجرية و أنابيب نحاسية أتسمت بالتنظيم وحسن التخطيط بشكل هائل مع ما يتفقوا إمكانيات الدولة المصرية من قدرة على انجاز فائق من الدقة(67).

و قد استمر المصريون خلال عهد الدولة الوسطى في الاستمساك بتقنياتهم السابقة وتطويرها بحماية مبانيهم من الأمطار و السيول خاصة و أن البلاد شهدت طول هذا العصر تغيرا كاملا في نمط المناخ و أصبح مشابها لما كان عليه خلال المرحلة المطيرة، فشهد هذا العصر فيضانات عالية مما أدى إلى زيادة منسوب نهر النيل، فنشط بذلك عدد من وديان الصحراء الجافة شمال السودان و النوبة و صحراء مصر الشرقية(68).

وظل اجتهاد المصريين في إيجاد حلول للأمطار و السيول الجارفة على مبانيهم حتى عصر الدولة الحديثة و قد كان تأثير هذه السيول على سطوح المباني أكثر منها على واجهات الجدران الخارجية كتدفق المياه المحملة بالطين و الثرى على هذه الأسطح التي اتسمت برداءة الأحجار المستخدمة في تسقيفها، زيادة على ذلك الأثر السلبي لدرجات الحرارة المتباينة التي تؤدي إلى تشققها و ضعف مقاومتها، و قد أسفرت هذه العوامل عن ظهور مجموعة التقنيات التي واكبت التطور الكبير في فن العمارة و البناء خلال عهد الدولة الحديثة لحماية مبانيها من الانهيار و التفكك(69).

جـ - الرطوبة:

إن اعتدال المناخ في مصر بالرغم من الحرارة سببه الرطوبة، إذ يحد البلاد شمالا البحر الأبيض المتوسط و شرقا البحر الأحمر، بالإضافة إلى نهر النيل الذي يقسمها نصفين طولا، وهذه الحدود المائية أوجدت الرطوبة في الجو، حيث تهب الرياح المحملة بالندى من الشمال

إلى المناطق الداخلية الحارة فتعمل على إنعاش الجو و تقليل الحرارة ليلا[70]، و تبلغ الرطوبة أقصاها صيفا على الساحل و شتاءا على الداخل، و ذلك لأن انخفاض الحرارة في الداخل أثناء الشتاء يجعل الهواء أقرب للتشبع، في حين أن ارتفاع درجة الحرارة صيفا يساعد على نشاط التبخر في الساحل، خاصة و أن الرياح تهب من البحر أثناء الصيف حاملة معها كمية كبيرة من الرطوبة، و ينخفض متوسط درجة الرطوبة كلما اتجهنا من الشمال غلى الجنوب و تهبط أدناها في شهري مايو و يونيو بسبب هبوب رياح الخماسين[71].

د - الرياح:

يقول اسكندر بدوي بأنه : " **في فترة عصر ما قبل التاريخ عندما كان الموقد السمة الأساسية لمكان الاستقرار، فإن السواتر المصنوعة من الأحجار منعت ريح الشمال من إخماد النار، و على أية حال فإن نفس الريح خفضت درجة الحرارة في أيام الصيف المشمسة و تمنى النصوص للأحياء و الأموات نسيما باردا من الشمال**"[72]،فقد كان لنسيم الشمال العليل الذي يلطف من حرارة الصيف عادة أثر في أشكال المباني و عناصرها المعمارية، فقد كانت واجهات البيوت تتجه نحو الشمال، كما تم ابتكار ملاقف في السقوف تتلقى الهواء البارد، و لا تزال هذه الملاقف منتشرة في سقوف منازل صعيد مصر إلى اليوم[73].

04 - **العوامل البشرية:**

على الرغم من أن بدايات تواجد الإنسان بمنطقة وادي النيل لا يزال يكتنفها الغموض إلا أننا نعرف إلى حد ما مناطق الاستقرار الأولى التي تجمع فيها، و أنه اتخذ من الزراعة الحرفة الأساسية له، سواء أكان ذلك في الوادي أو في الدلتا، و زادت حاجته للتجمعات أكثر بعد اتجاه المناخ نحو الجفاف، و لعل أهم ما يميز حرفته الأولى هذه تواصلها رغم بعض فترات التفكك السياسي[74]، و لما كان النيل مصدر الحياة و المعلم الأول لتطور مناحي الحياة - و في مقدمتها الجوانب الفنية - لدى سكان الوادي، فقد حاكاه المصريون القدماء بشق الترع والقنوات بشكل طولي، و تفتقت عقولهم بعد احتراف الزراعة إلى الإبداع في الشكل العمراني الذي لا زال حتى اليوم ممثلا في القرية، و بتطور أفكارهم تطورت فنونهم في العمارة والبناء[75].

و تعطي الإشارات التاريخية معلومات ضئيلة عن استخدام الأرض في البيئة الريفية المصرية، و عموما كان نمط استغلال الأرض بسيطا قائما على الزراعة الشتوية و ذلك باستخدامه لأدوات و أنظمة صممت خصيصا لتوسيع الزراعة الشتوية، و الهدف منها تقليل آثار تباين الفيضانات السنوية و حماية المحلات العمرانية و الحقول من التدمير، بينما كانت الزراعة الصيفية مشابهة للزراعة البستانية الحالية في رقع صغيرة المساحة(76).

وتتأكد مقولة مصر هبة النيل عندما نجد أنفسنا نتكلم عن بدايات الإنسان في هذه الرقعة من الأرض و ارتباطه بها و إبداعه فيها، خاصة و أن النيل كان مصر الحياة لكل ما فيها و في مقدمتها الزراعة، فقد كان له أثر كبير على الحياة الاقتصادية التي كان لها هي الأخرى دور كبير في العمارة، على الرغم من ذهاب أغلب العلماء إلى القول بأن معرفة الإنسان بالزراعة كانت أول الأمر بمكان ما بآسيا و ربما كان القصد من ذلك بلاد ما بين النهرين غير أنه ما من شك هنا في أن التأثيرات الأجنبية كان لها دورها في العمران المصري فقد كان المصريون يستوردون الأخشاب من بلاد فينيقيا، و لعل هذا الاحتكاك الحضاري القديم كان سببا في التأثير أو في التأثر، مما زاد من خبرة المصريين في جوانب شتى من حياتهم(77).

لقد ارتبط التواجد البشري بأرض النيل منذ البدايات الأولى بالمعطيات الطبيعية في كل من الوادي و الدلتا،فكان لاتساع السهل الفيضي و حجم أحواض الري دورها الكبير في توزيع السكان و كثافتهم و بالتالي كثافة المحلات العمرانية، و يمكن القول بأن الضغط على الأرض و كثافة السكان كانت قليلة خلال عهد ما قبل الأسرات، و شيئا فشيئا زاد ضغط السكان على الموارد الطبيعية بعد تضاعف أعدادهم(78)،و تشير جميع الدلائل إلى أن أقل مناطق الجذب العمراني في عهد الأسرات كانت المناطق الصحراوية، حيث سكن هذه المناطق أقلمن 50 ألف نسمة، و كان نمو العمران و توزيعه مرتبطا بنمو الري و تحسين طرقه و استصلاح بعض الأراضي الزراعية و التي كانت تغطيها المستنقعات و المناقع، التي شكلت هي الأخرى مصدرا مهما لنبات البردي الذي اشتهر به المصريون، غير أنها تحولت بعد استصلاحها إلى أراض معمورة آهلة بالسكان، قوامها الزراعة المنتظمة(79).

و يمكن القول إن وادي النيل لم يكن ذا توزيع بشري و عمراني موحد، بل إنه تميز بوجود فجوات عمرانية على عكس مناطق أخرى مزدحمة، فكانت المنطقة الجنوبية متميزة

بالوجود البشري نظرا لضيق السهل الفيضي على عكس مناطق الشمال بداية من أسيوط و تجدر الإشارة إلى أن نمط العمران المصري قد اختلف عن غيره من الحضارات القريبة و ذلك أن معظم المصريين قد استمروا في العيش بالقرى و المراكز الصغرى على خلاف ما نلحظه في بلاد الرافدين من أن التطور الحضاري في المدن جذب إليه العديد من سكان الريف و ذلك ما جعل من أن يكون النمط العمراني المصري فريدا من نوعه[80].

و إذا ما حاولنا الغوص في البحث عن دلائل العمران و خاصة المدن، نجد أن ذلك يحوطه صعاب جمة و إن أمكن تحديد مواضع الكثير منها اعتمادا على النصوص الأثرية والأدلة الطبوغرافية، على الأقل في مصر العليا، على عكس الدلتا التي تعرضت بحكم اتساعها و كثرة فروعها النيلية ناهيك عن المؤثرات الخارجية - دخول عناصر جديدة إلى مصر - إلى طمس للمعالم العمرانية مما يجعل الوادي منطقة خصبة للبحث أكثر منها في الدلتا[81] و المهم هنا هو أن التواجد البشري و التركز العمراني كان محوره السهل الفيضي أو الدلتا حيث تشكلت الأقاليم التي ظهرت شاراتها على أواني الفخار من عصر ما قبل الأسرات و التي ظهرت من خلال قوائم مسجلة على المعابد و المقابر في العصور التاريخية، مع شارات أحدث تدل على استمرارية عملية التوسع و الدمج[82].

وخلاصة القول أن ما يجمع عليه المهتمون بالتاريخ المصري القديم هو أن معظم السكان قد عاشوا على مواقع النقاط الجافة المحاذية للنهر و التي شكلت فيما بعد القاعدة لمواقع المدن و القرى منذ عصر ما قبل الأسرات، و أصبح شكل الحياة في النيل قائم على ثلاثة عناصر رئيسية هي : "قناة للمياه - ربوة عالية للتجمع السكاني - حوض للزراعة داخل السهل الفيضي"، وقد تزداد أهمية التمسك بمثل هذه المواقع لدى السكان هو حرصهم على تأمين أنفسهم من خطر الفيضان من جهة، و استغلال أكبر قدر ممكن من حجم الأراضي الزراعية من جهة أخرى[83].

05 – **العوامل التاريخية**:

من المسلم به في تاريخ الحضارات القديمة و الحديثة أن الاستقرار السياسي و الأمني يساعد الأمة على التطور الحضاري المنشود،لذا فقد رأيت أنه من الضروري قبل الولوج في موضوع

تطور العمارة في مصر القديمة أن أعرج على المسار التاريخي لأطول حضارة عرفها التاريخ فقد شهدت هذه الأخيرة فترات متباينة بين الازدهار و الانحطاط من حيث ضخامة و روعة البناء أو تأخره و ضعفه ، و أول ما يسجله التاريخ لنا هو بروز وحدتين رئيسيتين ضمت كل منهما مناطق نفوذ و سيطرة تمثلتا في إقليم الوجه البحري و إقليم الوجه القبلي الذين شهدا بحلول العام 3200 ق م وحدة سياسية شكلتا ما اصطلح عليه سياسيا بالدولة المصرية القديمة[84].

قسّم الكاهن المصري مانيتون (Manéthon)[85]،تاريخ مصر الفرعونية إلى ثلاثين أسرة وهو التقسيم المصطلح عليه بين العلماء و المتخصصين، مع بعض الاختلافات البسيطة حيث أن البعض منهم من يرجعها إلى واحد و ثلاثين أسرة، ولكن ما لا خلاف فيه هو أن عصورها التاريخية كانت مع بديات الألف الثالثة قبل الميلاد و أن البلاد عرفت لأول مرة وحدة سياسية بدأت بحكم الملك مينا(Ménes)[86]، ويطلق عليه البعض اسم مينوس مؤسس الأسرة الأولى 3200 ق.م ، وبقي ذلك التقسيم معتمدا عليه حتى الآن لدرجة أن علماء التاريخ المصري القديم لم يقوموا بتعديلات سوى قيامهم بتقسيم فترات حكم هذه الأسرات الملكية إلى عصور مستقلة كعصر ما قبل الأسرات وعصر الدولة القديمة و الوسطى والحديثة[87].

أ. عصر ما قبل الأسرات (3200-2690ق.م):

لا يوجد إلا القليل عن التاريخ السياسي لبواكير عصر الأسرات حيث تعوزنا النصوص التاريخية الجوهرية غير ما سجّله مانيتون في تاريخه أو ما حفظته لنا بعض النقوش الأثرية من أحداث شهدتها هذه الفترة الزمنية المهمةـ و التي مهدت لبروز الدولة المصرية الموحدة كما سبق الإشارة إليه من قبل ـ و في مقدمتها حجر باليرمو[88]، ويسمى هذا العصر بالعصر العتيق أو عصر ما قبل الأسرات ، ويضم كل من الأسرتين الأولى والثانية أما الأسرة الأولى فقد توالى عليها ثمانية ملوك حسب كتابات مانيتون حيث أسست مدينة جديدة سميت ممفيس، و التي اعتبرت العاصمة لمصر، و قد تم على يد هذه الأسرة توحيد البلاد وتنظيم الإدارة و المجتمع بالإضافة إلى وضع الشرائع الدينية و نظاما للعبادة، و العمل على تأمين القطر الموحد، غير أن هذه الأسرة سقطت بعد أن حكمت حوالي 253سنة، وذلك بسبب التراخي الذي ظهر في السلطة المركزية والذي أدّى إلى فوضى لتقوم على إثرها الأسرة الثانية التي تعاقب عليها تسعة ملوك، دامت فترة حكمهم حوالي 302سنة[89]، وحسب ما ذهب إليه مانيتون كان أول

ملوكها سخموي الذي دام حكمه 38 سنة فقد كانت فترة الأسرتين الأولى والثانية امتداد وتطور الأجيال السابقة، وبهذا انتهى العصر العتيق لتقف الحضارة المصرية القديمة على أبواب عصر جديد[90].

ب ـ عصر الدولة القديمة (2686-2181 ق.م):

يطلق على عصر هذه الدولة مصطلح العصور المنفية نسبة إلى منف التي كانت عاصمة مصر منذ توحيدها، كما أطلقوا عليها أيضا اسم عصر بناة الأهرام نظرا لما تميز به ذلك العصر من تشييد الأهرام الفخمة التي لم توجد بتلك الضخامة في أي عصر[91]، شملت الدولة القديمة الأسر من الثالثة إلى غاية الأسرة السادسة وقد كان أوّل ملوكها زوسر(2780-2761 ق.م) الذي كان عهده بداية لمرحلة جديدة تميّزت بمختلف النشاطات الحضارية لا سيما العمارة، فقد حكم 29 سنة، وآخر ملوكها هو حوني ودام حكمه 24عاماوبعد انهيار الأسرة الثالثة ظهرت بوادر الأسرة الربعة والتي تداول حكمها عن طريق المصاهرة، بزواج أول ملوكها سنفرو بإبنة أخر حكام الأسرة الثالثة.

ويعدّ أهم ما ميّز هذه الأسرة أثارها المعمارية الضخمة، التي بلغت ذروة الانجاز الفنّي والعقلي في كلّ من الجيزة، أبي صير، و ميدوم[92]، إذ قام كلّ من خوفو وخفرع و منقرع بدناء ثلاث أهرامات مشهورة في صحراء مصر[93]، أما الأسرة الخامسة فكان أوّل ملوكها أوسركاف الذي شيد له معبد الشمس ويليه في العرش ساحورع أول من شيد أسطولا بحريا[94]، وتلي الأسرة الخامسة الأسرة السادسة تولت هذه الأخيرة العرش من غير نزاعات، ومن أشهر ملوكها بيبي الأول الذي حكم مدة 53 سنة.

و رغم ما وصلت إليه هذه الدولة من تطور إلا أن استنزاف الملوك لمقدرات الشعب وثرواته بتسخيرها لبناء مقابرهم أدى إلى إفقار البلاد ،كما أدى ضعف السلطة المركزية إلى زيادة قوة سلطة حكام الأقاليم، فقد سادت البلاد فترة اضطراب كتبت للدولة القديمة أو بالأحرى للأسرة السادسة معالم النهاية، فقد هاجم العامة من المصريين مراكز الحكم و بيوت الأغنياء و أملاكهم[95]. و نتيجة لهذه الثورة التي حصلت في الدولة القديمة دخلت مصرفي حالة الفوضى و عدم الاستقرار و بقي الوضع يتأرجح بين ثورة و هدوء و هذا مدة قرنين من

الزمن خاصة و أن عيون الغزاة كانت مفتوحة على مصر ، حتى جاءت الأسرة الحادية عشر بعهد جديد و سميت بالدولة الوسطى[96].

جـ ــ عصر الانتقال الأول(2181 ــ 2040 ق.م):

يشمل هذا العصر الأسرات من الأسرة السابعة إلى الأسرة العاشرة، وإذا ما حاولنا تتبع أخبار هذه الفترة فإنه من العسير فعل ذلك لأن تاريخ مانيتون و قوائم أسماء الملوك أصابها الخلط و التشويش، و المهم أن الفوضى كانت الطابع السائد خلال حكم جميع أسرات هذا العهد ، فمنطقة الدلتا كانت معرضة لتسلل الآسيويين و مصر الوسطى كانت تخضع لحكام إقليم أهناسيا[97]أما الصعيد فقد أصبح بيد حكام طيبة[98]، و كانت أبيدوس[99]الحد الفاصل بين منطقة نفوذ كلا الإقليمين[100].

د ـ الدولة الوسطى (2133 -1786ق.م):

ظهر عصر الدولة الوسطى على اثر انهيار عصر الانتقال الأول وضم الأسرتين الحادية عشر والثانية عشر، وكانت العاصمة والملك في الدولة الوسطى هما موضع السلطة ومنهما تستمد مصر بأجمعها قوتها ونشاطها[101]، ولقد تأسست الأسرة الحادية عشر في طيبة على يد الملك منتحوتب، أما الأسرة الثانية عشر فقد أسسها الملك أمنمحات الأول وعرفت فيها مصر استقرارا سياسيا و ازدهارا اقتصاديا كبيرا[102].

هـ ــ عصر الانتقال الثاني(1786 ــ 1567 ق.م):

أصيبت مصر بالتدهور خلال فترة حكم الأسرة الثالثة عشر و الرابعة عشر غير أن المتاعب التي تعرضت لها هذه المرة لم تقتصر على الانقسام الداخلي بل تعدتها إلى تهديدات الخطر الأجنبي الخارجي ، فقد احتل الهكسوس[103]أو الرعاة كما سماهم المصريين البلاد و قاموا بتأسيس الأسرتين الخامسة عشر و السادسة عشر و اتخذوا ألقاب الفراعنة المصريين وامتد نفوذهم حتى سورية[104]، كما أنهم تبنوا حضارتها وأدمجوا آلهتهم بآلهة المصريين، بينما بقي الجنوب تحت سلطة أسرة مصرية هي الأسرة السابعة عشر، وقد عملت هذه الأخيرة على

تخليص البلاد من سيطرة الهكسوس فكان لهم ذلك على يد أحمس الذي أسس على إثرها الدولة الحديثة[105].

و- الدولة الحديثة (1567 -1085 ق.م):

تأسست الدولة الحديثة على يد أحمس الذي طرد الهكسوس من مصر، وأعاد النمط التقليدي في المملكة الجديدة التي عمّرت حوالي 500 سنة، وتعاقبت عليها الأسرة الثامنة عشر والتاسعة عشر والعشرون، وقد عاشت مصر في ظل هذه الدولة عصرها الذهبي، حيث امتدت حدودها من السودان الشمالي حتى سوريا وفلسطين ما جعلها تسمى بالإمبراطورية التي أقيمت في عهد تحتمس الثالث[106].

فقد حكم سيتي الأول في الأسرة التاسعة عشر، حيث قاد حملة عسكرية حارب فيها الليبيين وأوقف غاراتهم على الدلتا، وخلفه ابنه رمسيس الثاني الذي تابع أعمال والده الحربية فقام بإعادة الحدود المصرية[107]،وقد شهدت الدولة الحديثة ثورة دينية على التقاليد السابقة حيث جاءت أول دعوة للتوحيد على يد أخناتون[108] (1377- 1365ق.م) الذي فرض عبادة الإله أتون[109]القوة الكامنة في قرص الشمس.

وبعد زوال الأسرة التاسعة عشر ظهرت الأسرة العشرون على يد الملك ست نخت من نسل رمسيس الثاني، حيث أعاد للبلاد وحدتها ولكن مدة حكمه لم تدم طويلا حيث تولى ابنه رمسيس الثالث العرش من بعده ولكنه لقي حتفه، وحكم من بعده ثمانية ملوك وقد شهدت البلاد في هذه الفترة فوضى وهذا راجع إلى ضعف سلطة الملوك ما أدى إلى ازدياد نفوذ الكهنة على السلطة، وعندها دخلت مصر مرحلة الاضمحلال[110].

ز- عصر الغزو الأجنبي (1085 -332 ق.م):

دخلت مصر عصر انحطاط فدب الضعف و الوهن في الإمبراطورية المصرية ففي عهد الأسرة الواحد والعشرون التي لم تستطع إنقاذ البلاد من الأوضاع السيئة، وفي منتصف القرن العاشر ق.م بالتحديد عام 945 ق.م تمكن شيشنق المنحدر من أسرة ليبية من الاستيلاء على مصر مؤسسا بذلك الأسرة الثانية و العشرين وقد ظهرت كل من الأسرتين الثالثة والعشرون

والرابعة والعشرون، في وقت ضعفت فيه السلطة المركزية و فقدت أملاكها في الشام و عادت للانقسام مرة أخرى فحكم الوجه القبلي كهنة آمون و حكم الوجه البحري ملوك آخرون[111]، وقد تعرضت لاحتلال الأشوريين[112]عام 663 ق.م[113]، وحكموا حتى قيام الأسرة الخامسة والعشرون، ثم تأسست بعد ذلك الأسرة السادسة والعشرون التي شهدت خلالها البلاد فترة ازدهار و رخاء غير أن ملوكها اعتمدوا كثيرا على المرتزقة الأجانب و انتهى حكمها باحتلال الفرس سنة 525 ق.م[114]و أسسوا بذلك الأسرة السابعة والعشرون إلا أنهم طردوا خلال حكم الأسرة الثامنة و العشرون و التاسعة والعشرون و التي عرفت حكاما مصريين ، ليعود الفرس إلى احتلال البلاد مرة أخرى عام 342ق.م وظلّوا فيها إلى أن انتزعها الإغريق منهم على يد الإسكندر الأكبر إلى مصر عام 332 ق.م[115].

06 - العوامل السياسية و الاقتصادية :

لقد أثرت الظروف السياسية و الحالة الاقتصادية في تطور فن العمارة و خصائصها فكانت الفنون المختلفة و العمارة تزدهر و تبلغ ذروتها في عهود الحكم المستقر و الرخاء الاقتصادي، و توفر الإمكانيات المادية اللازمة و تضمحل في عهود الضعف السياسي والاضطرابات الاقتصادية[116].

وبظهور الدولة المصرية الموحدة نهاية الألف الرابعة قبل الميلاد، اتجهت المجهودات الرسمية نحو التوسع العمراني و إعادة توزيع و تنظيم الكثافة السكانية، و إذا ما كانت الأدلة والنصوص لم تصرح بذلك بشكل واضح، فإن ذلك يرجع إلى أن هذه الإستراتيجية قد نفذت من خلال أنشطة أخرى تبنتها الدولة، و يمكن تمييز نوعين من التوسع العمراني :

- **الأول:** نشأ نتيجة الاهتمام بالتوسع في الرقعة الزراعية سواء أكان بعفوية أم بتخطيط من الدولة.
- **الثاني:** تم التخطيط له بشكل مسبق لخدمة أغراض متنوعة تمثلت في تأسيس مجتمعات اقتصادية ملكية يخصص دخلها للإنفاق على المؤسسات الدينية و الجنزية أو لدرء الخطر الخارجي[117].

و لذلك فإن الدولة عملت في تأسيس تلك التجمعات الجديدة لخدمة أغراضها على استهداف الأراضي البكر، فكان اختيار المواقع السكنية تلك بشكل مقصود بواسطة مراسيم ملكية كما أنها أسندت مهمة تخطيطها إلى مهندسين يساعدهم في تنفيذ مخططاتهم موظفون رسميون و مشرفون، بالإضافة إلى ذلك فقد عمدت الدولة إلى تشجيع السكان للعمل في تلك التجمعات السكنية و الإقامة فيها عن طريق منحهم إعفاءات من الضرائب و الخدمة العامة(118)، و تظهر العمارة في بدايات توحيد الدولة المصرية القديمة - بالرغم من أنها ظلت ترتكز على استخدام المواد الخفيفة و الطوب لبناء المقابر - تطورا في كل من الأسلوب و الإنشاء تحدد مرحلة ما قبل البناء بالحجر الذي سيستعمل على نطاق واسع بداية من الأسرة الثالثة(119).

و عندما انتقلت العاصمة إلى منف(Memphis)، و التي عرفت حكما ملكيا مطلقا كان لشخص الملك فيه دور كبير إلى جانب معاونيه و موظفي السلطة الدينية و الإدارية في تطور فن العمارة، بالإضافة إلى فترة الازدهار و الرخاء الاقتصادي التي عرفتها هذه الفترة(120)، حيث استعمل الحجر على نطاق واسع نلاحظه في المجموعات الهرمية في كل من سقارة و الجيزة، حيث وصلت العمارة ذروتها بابتكار أسلوب خاص ذي أسس إنشائية هامة باستعمال المواد المناسبة، و وجد النشاط المعماري الرئيسي سماته في الأهرامات و مجموعاتها و المعبد و المقاصير، بالإضافة إلى ذلك كله فقد شيدت مقابر النبلاء الذين أخلصوا في خدمتهم للملك في الأسرة الرابعة حول الهرم نفسه، في حين شيدت مقابرهم في عهد الأسرة السادسة في الإقليم الذي عاش فيه الأمير نفسه(121).و لم تكد أيام الأسرة السادسة تنقضي حتى انفلت زمام الأمر من الدولة و نشبت الفوضى داخل البلاد و ساد سوء النظام في أرجائها، و بالرغم من ذلك كانت هذه الفترة من تاريخ مصر من العصور الزاخرة بالآثار الأدبية التي وصل إلينا منها روائع الأدب المصري القديم(122).

و مع بداية الأسرة الثانية عشر و عودة الهيمنة المركزية على البلاد بعد فترة الانتقال الأول، تبنت الدولة مشروعات توسعية كبيرة في أرض الفيوم، و كسبت أرضا جديدة قدرت بحوالي 450 كلم^2، و قامت بتأسيس عاصمة جديدة للبلاد هي إثت تاوي، و كل هذه المجهودات أثمرت عن زيادة الكثافة السكانية في البلاد(123). و قد كان للملك

أمنمحات الأول و أمنمحات الثالث دور كبير في إعادة تشغيل محاجر طره و إقامة مشاريع الري في إقليم الفيوم و استغلال محاجر التعدين في سيناء، و ساد بذلك النظام و الرخاء في البلاد و أظهر الفن في الدولة الوسطى تهذيبا في الأسلوب، و قد شيد الملوك أهرامات في اللشت و معابد ضخمة كمعبد الشمس في أبيدوس و قصر اللابيرنت في هوارة[124] .

و لعل استمرار تغيير العاصمة في مصر الفرعونية كان دليلا على تغير مناطق الجذب السكاني في أنحاء مصر، فجاءت طيبة و تل العمارنة و بر رمسيس، و تشير وثائق الدولة الحديثة بوضوح إلى أن معظم الوثائق المتبقية من تلك الفترة تتعامل مع الأراضي القليلة الإنتاج و العديد منها قد سجل كعطايا للمعابد و الموظفين و المحاربين[125]، و قد جاء التنظيم السياسي و العمراني لشمال و شرق الدلتا في الدولة الحديثة كرد فعل على احتلال الهكسوس الذين قدموا من الشمال، و بالرجوع إلى تعاليم الفرعون واح كارع خيتي الرابع و التي وجهها إلى ابنه مريكا رع ناصحا إياه بتشييد مدن جديدة كوسيلة للقضاء على الانقسام السياسي يرجح أن مصر قد اتخذت من التوسع العمراني وسيلة فعالة لحماية حدودها من الخطر الأجنبي، و هذه التوسعات كانت سببا في زيادة عدد أقاليمها[126].

الهوامش:

[1]- النيل :اسم يوناني يعود إلى أصل اشتقاقي غير مؤكد، من أطول أنهار العالم، إذ يبلغ 6700 كلم ينبع من الجنوب من منطقة البحيرات الاستوائية و من جبال الحبشة، و تصريف النهر تصريف بسيط منتظم موزع على فيضان سنوي تعقبه فترات جفاف أنظر:ماري أنج بونهيم و لوقا بفيرش، **عالم المصريين**، تر: ماهر جويجاتي،المركز القومي للترجمة، القاهرة،2015، ص 15.

[2]- كمال الدين سامح، لمحات في تاريخ العمارة المصرية منذ أقدم العصور حتى العصر الحديث، دار نهضة الشروق، القاهرة، 2004، ص 7.

[3]- اسكندر بدوي، **تاريخ العمارة المصرية القديمة**، تر: محمود عبد الرزاق و صلاح الدين رمضان، ج 01، هيئة الآثار المصرية، 1988، ص 15.

[4]- علماء الحملة الفرنسية، **وصف مصر**،تر: زهير الشايب، ج1، دار الشايب للطباعة و النشر، 1992، ص 19.

[5]- اسكندر بدوي ، المرجع السابق، ص 15.

[6]- منف: تقع عند قمة دلتا النيل أي بالملتقى الطبيعي لكل من مصر السفلى و العليا، وبداية من الأسرة الثالثة كانت عاصمة لمصر مؤسسها هو الملك مينا. انظر: كلير لالويت، **الفن والحياة في مصر الفرعونية**، تر: فاطمة عبد الله، ط 01، المجلس الأعلى للثقافة، القاهرة، 2003، ص 171.

[7]- محمد أبو المحاسن عصفور، **الشرق الأدنى قبل العصور التاريخية**، مطبعة المصري، القاهرة، 1962، ص 29.

[8]- اسكندر بدوي ، الرجع السابق، ص 15- 16.

[9]- الفرما : هي بوابة مصر الشرقية سميت بهذا الاسم في عهد الأسرة الثالثة عشر من طرف سنوسرت.أنظر: جون ويلسون، **الحضارة المصرية**، تر: أحمد فخري، مكتبة النهضة المصرية، مصر، 1995، ص 60 .

[10]- بحيرة منزلة: أحد أكبر و أهم البحريات الداخلية في مصر، تطل عليها مدينة الفرما و هي تتصل بقناة السويس، تضم أربع محافظات . أنظر : محمد جمال الدين الفندي ، **النيل**، الهيئة المصرية العامة للكتّاب، مصر، 1993، ص 36.

[11]- بحر مويس: يقع في شرق دلتا النيل . أنظر: نفسه ، ص 37.

[12]- وليم نظير ،**الثورة النباتية عند قدماء المصريين** ، الهيئة المصرية العامة للكتّاب ، مصر ، 1970 ، ص 14.

[13]- جون ويلسون، المرجع السابق، ص 46.

[14] - اسكندر بدوي ، الرجع السابق، ص 16.

[15]- وسناء حسون يونس، **أهم الخصائص الجغرافية لمصر القديمة**، مجلة تكريت للعلوم الإنسانية، المجلد 18 العدد 09، أكتوبر 2010، ص 477.

[16]- طه باقر، مقدمة **في تاريخ الحضارات القديمة حضارة وادي النيل**، ج 02، القسم الأول، بغداد، 1956، ص 05.

[17]- Butzer,K.W.**Early hydraulic civilization in Egypt**,theeniversity of chicago press, Chicago and London,1976.p 28.

[18]- Toussoun, O. **M´emoire sur l'histoire du Nil**, MIE, Cairo, 1925,v18, p. 366

[19]- Butzer,K, op cit, p 30.

[20]- نخبة من العلماء، **تاريخ الحضارة المصرية العصر الفرعوني**، ج1، مكتبة النهضة المصرية، القاهرة، (د.ت.ن)، ص 17.

[21]- لويس ممفورد، **المدينة على مر العصور**، ج 01، مكتبة الأنجلو مصرية، القاهرة،1964، ص 100.

[22] -Butzer,K, op cit, p 30.

[23]- محمد مدحت جابر، **بعض جوانب جغرافية العمران في مصر القديمة**، دار نهضة الشرق، القاهرة، 1985، ص 18.

[24]- وسناء حسون يونس، المرجع السابق، ص 479 .

[25]- نخبة من العلماء، المرجع السابق، ص 23 .

[26]- أحمد فخري، **مصر الفرعونية**، الهيئة المصرية العامة للكتّاب، القاهرة، 2012، ص 12.

[27]- اسكندر بدوي، المرجع السابق، ص 17 .

[28]- نفسه، ص 16.

[29]- أنج بونهيم و لوقا بفيرش، المرجع السابق، ص 160 .

[30]- جودة حسنين جودة، **جغرافية مصر الطبيعية**، دار المعرفة الجامعية، الإسكندرية، 2000 ، ص 96.

[31]- محمد فريد فتحي، **في جغرافية مصر**، دار المعرفة الجامعية، الإسكندرية، 2000 ، ص 47.

[32]- جودة حسنين جودة، المرجع السابق، ص 72 .

[33]- أحمد جمال الدين محمد، **أثر البيئة على العمارة في مصر**، مذكرة ماجيستير في العمارة غير منشورة، كلية الفنون الجميلة جامعة حلوان، القاهرة، 1966، ص 25 .

[34]- أنج بونهيم و لوقا بفيرش، المرجع السابق، ص 161 .

[35]- جودة حسنين جودة، المرجع السابق، ص 156 .

[36]- أحمد جمال الدين محمد ، المرجع السابق، ص 25 – 26 .

[37]- طلعت محمد عبده، **الجغرافيا التاريخية في البلايستوسين**، مكتبة النهضة العربية، القاهرة، 1999، ص 55 .

[38]- رشدي سعيد، **نهر النيل – نشأته واستخدام مياهه في الماضي و المستقبل**، دار الهلال، القاهرة، 1993 ، ص 195 .

[39]- اسكندر بدوي، المرجع السابق، ص 17 .

[40]- محمد فريد فتحي، المرجع السابق، ص 26.

[41]- جودة حسنين جودة، المرجع السابق ، ص 25.

[42]- كمال الدين سامح، المرجع السابق، ص 08 .

[43]- أنج بونهيم و لوقا بفيرش، المرجع السابق، ص 161 .

[44]- أحمد جمال الدين محمد، المرجع السابق، ص 27 – 28 .

[45]- نخبة من العلماء،المرجع السابق، ص 326 .

[46]- محمد سميح عافية، **التعدين في مصر قديما و حديثا**، الهيئة المصرية العامة للكتاب، القاهرة، 1985، ص 64 .

[47]- محمد أنور شكري، **العمارة في مصر القديمة**،1970، ص 08 .

[48]- اسكندر بدوي، المرجع السابق، ص 20 .

[49]- محمد سميح عافية، المرجع السابق، ص 64 - 65 .

[50]- محمد أنور شكري، المرجع السابق، ص

[51)]- Harrell,J.A,Bown,T.M.**, An old kingdom baselt Quarry at widen El-Faras and the Quarry road to lake Moreis**, JARCE, 31, 1994. P 90

[52]- أحمد جمال الدين محمد، المرجع السابق، ص 30 .

[53]- اسكندر بدوي، المرجع السابق، ص 18 .

[54]- محمد أنور شكري، المرجع السابق، ص

[55]- اسكندر بدوي، المرجع السابق، ص 18- 19 .

[56]- محمد أنور شكري، المرجع السابق، ص

[57]- اسكندر بدوي، المرجع السابق، ص 19-20 .

[58]- توفيق محمد عبد الجواد، **العمارة و حضارة مصر الفرعونية**، مكتبة الأنجلو مصرية، القاهرة، 1984، ص 143 .

[59]- سميرة جمال جميل، **المناخ و العمارة**، مجلة العلوم و التكنولوجيا، مج 14، ع 01، القاهرة، 2009، ص 37 .

[60]- اسكندر بدوي، المرجع السابق، ص 21 .

[61]- سيف الدين إبراهيم نمير و آخرون، **مصر في العصور القديمة**، القاهرة، 1998، ص 08 .

[62]- زكريا رجب عبد المجيد، **العمارة و الفنون الكبرى في مصر القديمة**،ج1،دار المعرفة الجامعية، الإسكندرية، 2010، ص 12.

[63)]- White, J,E. Mmanchip. **Ancient Egypt: Its Culture and History** , London, 1970, p 07.

[64]- اسكندر بدوي، المرجع السابق، ص 21.

لويس ممفورد، المرجع السابق، ص 100.

[65]- زكريا رجب عبد المجيد، المرجع السابق، ص 13.

[66]- محمد عبد الرحمن الشرقاوي، **المطر و تأثيره في تاريخ مصر القديمة وحضارتها**، الدار المصرية للكتاب، القاهرة، 2011، ص 331 .

[67]- باسكال فيرنوس و جان يويوت، **موسوعة الفراعنة**، تر: محمود ماهر طه، دار الفكر للدراسات و النشر و التوزيع، القاهرة، 1991، ص 144.

[68]- رشدي سعيد، المرجع السابق، ص 161.

[69]- محمد عبد الرحمن الشرقاوي، المرجع السابق، ص 351.
[70]- سيف الدين إبراهيم نمير و آخرون، المرجع السابق، ص 26 .
[71]- محمد فريد فتحي، المرجع السابق، ص 123- 124.
[72]- اسكندر بدوي، المرجع السابق، ص 22 .
[73]- زكريا رجب عبد المجيد، المرجع السابق، ص 13.
[74]- نخبة من العلماء، المرجع السابق، ص 06.
[75]- لويس ممفورد، المرجع السابق، ص 100.

[76]- Butzer,K, op cit, p 51.

[77]- محمد مدحت جابر، المرجع السابق، ص 21- 22 .

[78] -Butzer,K, op cit, p 85.

[79]- محمد مدحت جابر، المرجع السابق، ص 24 .

[80] -Butzer,K, op cit, p 101.

[81]- Ibid, p 109-112.

[82]- Pirenne.J, **Histoire des Institutions et du Droit privé de l'ancienne Egypte**.Bruxelle, T 03, 1933, p 33-34.

[83]- Baines,J.Malek,J.**Atlas of Ancient Egypt**.London, 1980, p 14.

[84]- كمال الدين سامح ،المرجع السابق ،ص 10.
نجيب متري، **ملخص التاريخ القديم**، ، (د.م.ن)، (د.ت)، ص5.
[85]- مانيتون: (325- 268 ق.م) هو كاهن مصري عاش في عصر بطليموس الثاني، وقد كتب تاريخ مصر معتمدا على مدونات الملوك والنصوص والمستندات القديمة. انظر: ناصر الأنصاري ، **المجمل في تاريخ مصر**، ط 02، دار الشروق، القاهرة، 1997، ص 17.
[86]- مينا: وهو الملك نعرمر كتب اسمه بعلامتين هي نعر والتي تمثل سمكة القرموط وعلامة مر والتي تمثل وتد، هذا ولا يزال المعنى الدقيق لهذا الاسم مثار للجدل بين الباحثين في علم المصريات، ويترجم باسم يحفر أو يشق القناة. انظر: سمير أديب، **موسوعة الحضارة المصرية القديمة**، ط 01 ، العربي للنشر والتوزيع، القاهرة، 2000 ، ص 136.
[87]- سيد توفيق ،**معالم تاريخ و حضارة مصر الفرعونية**، دار النهضة العربية، القاهرة، 1984، ص 25.
[88]- حجر باليرمو: 2425 ق.م من أهم القوائم التي كشفت النقاب عن عهد ما قبل الأسرات، وهي لوحة من الديوريت الأسود، عثر عليها في منف، نقلت إلى جزيرة صقلية سنة 1877 أين حفظت في متحفها، تم فيها تسجيل ملوك ما قبل الأسرات في الوجهين البحري والقبلي. أنظر Gustave,J. **histoire de la civilisutionegyptienne:des origines à la conquètd leixandr**,paris,1923, p 97
[89]- نجيب متري، **ملخص التاريخ القديم**، ، (د.م.ن)، (د.ت)، ص5.
[90]- والترب امري، **مصر في العصر العتيق الأسرتان الأولى و الثانية**، تر: راشد محمد نوير، النهضة للنشر و التوزيع، القاهرة، 2000 ، ص 80.
[91]- أحمد أمين سليم، **دراسات في تاريخ الشرق الأدنى القديم: مصر، سوريا القديمة**، دار المعرفة الجامعية، الإسكندرية، 1993، ص 83 .
[92]- الجيزة،أبي صير،ميدوم : هي مقاطعات تابعة لمحافظة الجيزة في الجزء الشمالي من وادي النيل وهي تحتل المكان الثاني بين محافظات مصر من حيث وفرة الآثار الفرعونية، إذ تلي محافظة قنا التي تضم أثار مدينة طيبة.أنظر: سمير أديب، **الجيزة**، القاهرة، 1997، ص03 .
[93]- سمير أديب، **تاريخ وحضارة مصر الفرعونية**، مكتبة الإسكندرية، مصر، 1997، ص 67.

[94]- وائل فكري، المرجع السابق، ص 89 .

[95]- الصادق النيهوم، **موسوعة بهجة المعرفة(مسيرة الحضارة)**، مج1، الشركة العامة للنشر و التوزيع، بيروت، 1967، ص 06.

[96]- وهيب أبي فاضل ، **موسوعة عالم التاريخ و الحضارة** ، نوبليس ،لبنان ، 2003 ، ص 50.

[97]- أهـناسيا : هي هيراقليوبوليس و تقع في الجنوب من مدخل الفيوم، أطلق عليها المصريون قديما "تتى سنوت" وكانت مركز العبادة الإله. أنظر: فرانسوا دوما،**حضارة مصر الفرعونية**، تر:ماهرجويجاتي،المجلس الأعلى للثقافة،(د.م.ن)،1998، ص 829.

[98]- طيبـــــــــة :هي "ثيبة" عاصمة الصعيد في أيام الفراعنة. أنظر: أحمد زكي بك، **قاموس الجغرفية القديمة**، ط1، المطبعة الكبرى الأميرية، مصر، 1899، ص 56.

[99]- أبيــدوس : مدينة مدافن اسمها يوناني مشتق من الاسم القديم أبيدوا (abdu) تعرف اليوم بالعرابة المدفونة وتقع في أقصى جنوبي الصعيد المصري على حافة الصحراء. انظر: محمد بيومي مهران، **المدن الكبرى في مصر و الشرق الأدنى القديم :مصر**، ج1، دار المعرفة الجامعية، الإسكندرية،1999 ، ص 80.

[100]- عبد الحليم نور الدين، **تاريخ و حضارة مصر القديمة**، الخليج العربي للطباعة و النشر، (د.م.ن)،1999، ص 86 – 88.

[101]- عبد المنعم أبوبكر، **محاضرات في التاريخ المصري القديم**، (د.ن)، (د.م.ن)، 1940، ص 82.

[102]- برهان الدين دلو، المرجع السابق، ص62-64.

[103]- الهكسوس : أصلة الكلمة هيروغليفي وهي حكا – خاسوت، حكا بمعنى حاكم و خاسوت بمعنى الأراضي الاجنبية ، يعتقد بعض المؤرخين أن أصلهم من قبائل هندو – أوربية، و البعض الأخر يعتقد أنهم قوم كانوا يسكنون أرض فلسطين القديمة، تغلغلوا وسط النسيج المصري و تدريجيا استطاعوا أن يحكموا أجزاء من مصر في منطقة الدلتا.أنظر: بسام الشماع، **كتاب مصر القديمة**،مكتبة الشروق الدولية، القاهرة، 2010، ص 209.

[104]- نعيم فرح، موجز في تاريخ الشرق الأدنى القديم ، دار الفكر، دمشق، (د.ت)، ص 76.

[105]-Jean,V. **L'Egypte ancienne**. presse universitaire de France.Paris.1960.p 7.

[106]- ناصر الأنصاري،المرجع السابق، ص 37.

[107]- برهان الدين دلو، المرجع السابق، ص 67.

[108]- أخناتون: تعني كلمة أخ ان اتن (جميل قرص الشمس) والده الملك امنحوتب الثالث أمه الملكة تي وهو الذي أقام ديـــانة التوحيد لعبادة اله واحد لا شريك له، وهو قرص الشمس أتون . أنشأ عاصمة جديدة سماها تل العمارنة . أنظر: ليونارد كوتريل، **الموسوعة الأثرية العالمية**، تر: محمد عبد القادر محمد و زكي اسكندر، ط 02، الهيئة المصرية للكتاب، الإسكندرية،1997، ص 49.

[109]- أتون: أطلق المصريون اسم أتون على قرص الشمس بدأت عبادته في عهد اخناتون (الدولة الحديثة) حل أتون محل الآلهة المصرية كلها وأصبح الإله الوحيد لمصر.انظر: سمير أديب، **موسوعة الحضارة المصرية**، المرجع السابق، ص 33.

[110]- سمير أديب، تاريخ وحضارة مصر الفرعونية، المرجع السابق، 144.

[111]- برهان الدين دلو، المرجع السابق، ص 67 – 68 .

[112]- الأشوريين: مشتقة من كلمة أشور وهو اله الأشوريين القومي ، كما أطلقت الكلمة نفسها على أقدم مدنهم وهي أشور، وهم في الأصل فرع من الأقوام السامية، لم يكن لهم كيان سياسي قوي إلا منذ منتصف الألف الثاني ق.م، أنظر: طه باقر، **مقدمة في تاريخ الحضارات القديمة تاريخ العراق القديم**، ط2، (د.ن)، بغداد، 1955، ص 163 - 167.

[113]- طه باقر، المرجع السابق، ص 167.

[114]- ثروت عكاشة، المرجع السابق، ص 380.

[115]- باهور لبيب، **لمحات من الدراسات المصرية القديمة**، مطبعة المقتطف،القاهرة،1947. ص 11.

[116]- زكريا رجب عبد المجيد، المرجع السابق، ص 13 .

[117]- مها عبد العزيز منصور، **المدن الهرمية من الأسرة الثالثة إلى نهاية الأسرة الثانية عشر**، رسالة ماجستير غير منشورة، كلية الآثار جامعة القاهرة، 2004، ص 10.

[118]- مها عبد العزيز منصور، المرجع السابق، ص 16 .

[119]- اسكندر بدوي، المرجع السابق، ص 28 .

[120]- زكريا رجب عبد المجيد، المرجع السابق، ص 14 .

[121]- اسكندر بدوي، المرجع السابق، ص 29 .

[122]- كمال الدين سامح، المرجع السابق، ص 11 .

[123)]- Baines,J.Malek,J.opcit, p 18 .

[124]- اسكندر بدوي، المرجع السابق، ص 30 .

[125)]- Baer,k. **the low price of land in Ancient Egypt**. JARCE. 1962, p 30 .

[126)]- Baines,J.Malek,J.opcit, p 15 .